الاستنساخ

محمد المختار السلامى

خامسًا: ماذا ستكون علاقة النسخة؟ هل النسخة باعتبار أنها تحمل نفس الحقيبة الوراثية، وأنه سيبرز كل خط من خطوط البرنامج فى النسخة، فهل تكون النسخة بالنسبة للمأخوذ منها وهى أنثى، أختًا لها أو بنتًا، أو هى ذات واحدة فى شخصين؟ ما علاقة النسخة بالزوج، أهى ربيبة أو هى أخت زوجته أو هى زوجته كما لو تضخم ثدى زوجته أو يدها أو رجلها أو أى جزء من أجزائها، مع أن زوجته هى التى ولدتها فى حال قيام العلاقة الزوجية. ولو حملت الزوجة بالنسخة من الزوج وسيولد ذكرًا، هل يكون أخًا لزوجها، وقد حملته فى بطنها وولدته، أو يكون زوجًا لها فى صورتين الأصلية والنسخة، أو يكون ابنًا لها؟

ولو فرضنا أن الزوجة أُعجبت برجل , فأخذت خلية من خلاياه، ويكفى شعرة واحدة سقطت من رأسه ثم تستكمل المراحل حسبما وصفناه , فتكون صلته بالزوج كصلته بالزوج الذى خدعته زوجته وحملت من غيره، يجب عليه شرعًا أن ينفى نسبه منه، لأن اختلاط الأنساب محرم فى شرع الله، وليس قبوله أو رفضه مرتبطًا برضا الزوج، لأنه عندما يولد على فراشه سيكون اتصاله النسبى بكل أصوله وفروعه، ولا يحل له أن يدخل عليهم من ليس هو منهم.

ولو فرضنا الزوجة أن الزوجة لإعجابها بأبيها (وكل فتاة بأبيها معجبة) , فأخذت نواة خلية من أبيها وأُودعت مكان نواة بييضتها , ثم غُرست فى الرحم، ووصل المولود إلى أمد وضعه؛ هل يكون هذا المولود أبًا لها، أو ابنًا أو أخًا؟

إن الصور التى يمكن أن تحدث من المضى قدمًا فى هذه التقنية لا تحصر، وإنها فى معظم الأحوال ستؤدى إلى فوضى فى العلاقات البشرية، ثم إنه لا يستطيع أى فرد أن يتصور الانعكاسات السلبية لذلك على التوازن النفسى للإنسان فى المستقبل، وبذلك فهى خطر على الإنسان وخطر على العلم ذاته الذى هو ثمرة الصحة العقلية والنفس السوية.

سادسًا: إن هذه التقنيات يوم يكتب لها أن تصل إلى غاية مداها فستفتح على مصراعيها أبواب استئجار الأرحام، فإذا كان الفقر والخصاصة، والجوع والعراء قد وصلت بالإنسانية إلى التجارة فى السوق السوداء بالأعضاء البشرية، وإذا كان فى كثير من الدول الآسيوية والإفريقية يرضى الإنسان أن يبيع كليته لمن يربح فيها أضعاف أضعاف ما يبذله للإنسان (الشىء والمتاع) ، فإن سوق استئجار الأرحام ستكون قطعًا نافعة بمقدار تعدد الأغراض وسعة مسالك الشهوة والخطيئة.

١) تلتجئ إليها العاقر التى ترغب فى تعمير بيتها بأنفاس الطفولة البريئة، ونغمات أصواتها التى توقظ الأم من عمق النوم وتلهيها حتى عن نفسها، فترغب العاقر فى القيام بتمثيلية تعيش فيها مع الخيال أشواطًا، ذلك أن الأم ترتبط بوليدها من أول ما تشعر أنها أصبحت حاملة لحياة فى أحشائها، محتضنة لاستمرارها فى الوجود فى بطنها، ثم تتأكد الصلة كلما نما، وتنسج مع إحساسها بحركته الأولى حركتها النفسية لرؤيته يومًا بين يديها حتى يثقلها فتضعه، وسترسل فى عالم المشاهدة مع ما كان إحساسًا غير مرئى ولا مسموع.

٢) ترغب باستئجار رحم الأنثى المعجبة بوسامتها الحريصة على أناقتها من النجوم والمترفات والمثريات، فهى تستطيع أن تشترى بييضة من أنثى، وخلية منها أو من ذكر يملأ عينيها، ورحمًا تودع فيه الخلية لتبلغ به إنسانًا مكتمل الخلق، وقد دفعت الثمن فهى أحق به، وتكون علاقتها به فى الحقيقة صفقة تجارية، هذا ما يؤدى إليه الاسترسال فى اقتحام الاستنساخ.

٣) أما عصابات الإجرام فستفتح لهم ساحات العمل الإجرامى، فهم يستطيعون كما بيناه التحصيل على نسخ من أكبر المجرمين شراسة ومكرًا، حسبما تبين أعلاه ثم هم ينشؤونهم تنشئة تزيد انحرافهم حدة ويضللون العدالة بالنسخ المتماثلة، إذ يخفون الذى قام بالجريمة، ويثبتون أن مماثله كان فى الوقت الذى حدثت فيه الجريمة بعيدًا آلاف الأميال عن موقعها.

٤) ولا نغفل عن المتاجرين بالجنس فهؤلاء سوف يجدون فى الاستنساخ ما كان يتجاوز أحلامهم، إذ يستطيعون إنجاب نسخ من نجوم السينما وملكات جمال العالم بثمن زهيد على الطريقة السابقة، خلية بييضة، رحم مولودة نسخة مساوية لصاحبة الخلية طولًا وتناسبًا وجمالًا وصفاء، تربى تربية خاصة حتى إذا ما نضجت كانت تبعًا لتربيتها وغسل دماغها وإغراء الشباب وسلطان الوسامة ثروة فى سوق الخَنَا يدرّ على الأشقياء.

وقائمة الاضطراب الفردى والاجتماعى تطول وتطول فى ميدان التطبيقات التى لا تجد ما يحول بينها وبين التحقيق، والإمعان فى الفساد والاختلال فى منحرف الطريق إلا عامل الدين المستند إلى صادق التنزيل الذى يبصر العقل والعلم ويهديهما سواء السبيل البصيرة التى لا تنخدع بالجديد لجدته، ولا تقدس القديم لتطاول مدته، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتّبَعَنِي} . [يوسف: ١٠٨]

وبجانب إحياء القيم الدينية لا بد من رادع يحرم على كل مؤمن أو كافر أن يفسد على الإنسانية حياتها وقيمها وعلاقاتها الاجتماعية، ويهدم ما بنته الإنسانية فى عشرات القرون، فظنت أنها أمنت الإنسان على كرامته، وأقامت المنظمات تحرس حقوقه وحقوق المرأة وحقوق الطفل، فيكون العبث بهذا الهرم الحضارى عداء للإنسانية على

الأمم والدول أن تحمى نفسها باستصدار ميثاق ملزم توقع عليه كل الدول معتبرة كل من يعمل على الاستنساخ أو التوأمة من الباحثين أو المؤسسات مجرما ضد البشرية تأخذه أحكام وتبعات ذلك أينما حل فى أرض الله.

هذا وقد أخذت البشرية بحمد الله تقوم بالدفاع عن نفسها من هذا الخطر الذى هو الابن غير الشرعى لحضارة السوق، فإنه بمجرد ما تم الإعلان عن بلوغ (دولّى) شهرها السابع وانتشرت صورتها فى أرجاء العالم حتى سبق البرلمان النرويجى فأصدر قانونًا وافق عليه ٨٨ نائبًا من مجموع تسعين، يمنع منعًا باتًّا إجراء التجارب أو القيام باستنساخ الإنسان أو أحد أعضائه الرفيعة التطور، وكذلك رئيس الجمهورية الفرنسية فقد دعا فى نفس اليوم المجلس الاستشارى القومى للأخلاق، وطلب منه أن يدرس القانون الفرنسى ليطمئن على سلامته من وجود ثغرات يمكن للباحثين الفرنسيين أن يقوموا فى يوم من الأيام بالاستنساخ البشرى، وبعد أن اتصل بتقريرهم يوم ٢٩ إبريل ١٩٩٧ أعلن أنه يعتقد أن الاستنساخ الإنسانى هو تعدٍّ مهين للكرامة الإنسانية وأنه لا بد من العمل على منع القيام به على النطاق العالمى، وأنه سيكون المثير لهذا التوجه والمدافع عنه فى اجتماع الدول السبع الأكثر غنى فى العالم فى اجتماعهم القادم فى آخر شهر جوان - بدنفار - بالولايات المتحدة الأمريكية.

فعلى وسائل الإعلام الشريفة أن تمضى فى هذه السبيل حتى يصدر ميثاق المنع العالمى.

الدائرة الثانية: تدخل الإنسان فى الحقيبة الوراثية

إن ما خط من برنامج حياة الكائن فى الكروموزومات لم يفصح عن كل محتواه وأسراره لحد الآن، وما يزال العلماء يتعاونون فى هذا الميدان، وفى حدود علمى فإنهم وصلوا إلى قراءة بعض ما هو مسجل من استعدادات كامنة قابلة للظهور فى المستقبل، وأنهم يتوقعون أنه يمكنهم التأثير فيما قرؤوه فعرفوه، وهذا التأثير منه ما هو من باب الوقاية كما لاحظوه فى بعضها من استعداد للتحول إلى فوضى سرطانية والتدخل لحماية الإنسان باكراً مشروعة.

وقد يكون التدخل لتغيير صورة الإنسان كلَوْنِ جلده أو شكل شعره تبعًا لرغبة الأبوين، وأرجح أن هذا من باب الاعتداء على حرية الإنسان فى حال قصوره عن التعبير عن اختياراته فى ميدان لا ضرر عليه فيه، وأن ذلك غير جائز.

ولما كانت البحوث لم تستكمل بعد، وأن التدخل فى ميدان دقيق كهذا أو انزلاق الإبرة المكروسكوبية غير مأمون؛ فإن الذى أطمئن إليه أن لا نتعجل ولا نحكم على الشيء قبل تصوره فى ذاته، وتصور السلاسل المترتبة عن ولوج هذا النوع من التأثير.

والله أعلم.

محمد المختار السلامى